العدد الخامس والعشرون
2008

مجلة كلية

# الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1376 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2008 مسيحي

- دقة التعبير في نهايات الآيات القرآنية
- الإيقاع النثري (صوره وخصائصه)
- صورة بلنسية في الموروث الأندلسي
- دور الإسلام في التواصل بين مناطق الساحل والصحراء الإفريقية

# وصول الهجرات العربية الإسلامية المبكرة إلى ساحل شرق إفريقيا وأثرها في نشر الإسلام والثقافة العربية في العصور الوسطى

د. الدّهماني سالم الدّهماني

نتناول في هذا العرض التاريخي بالسرد والتحليل وصول الهجرات العربية الإسلامية المبكرة إلى شرق أفريقيا وأثرها في نشر الإسلام والثقافة العربية في العصور الوسطى والتي يتضح من خلاله مدى تأثير تلك الموجات على ساحل شرق أفريقيا ودورها في نشر المؤثرات العربية الإسلامية سواء في اللغة أو النظم أو العادات والتقاليد أو الأدب والعلوم.

لقد وصل العرب المسلمون إلى ساحل شرق أفريقيا في هجرات متتالية متبعين الطرق الملاحية والتجارية التي سلكها العرب الأوائل منذ أقدم العصور.

والعرب هم أقدم مجموعة أسيوية اتصلت بالقارة الأفريقية، وبطبيعة الحال فإن استمرار العلاقات العربية بشرق أفريقيا أمر أملته العلاقات المكانية من حيث المواجهة على طول سواحل البحر العربي والمحيط الهندي من ناحية، والاهتمام البحري والتجاري بعرب جنوب الجزيرة عامة وعرب مسقط وعمان بصفة خاصة. ويعتبر المؤرخون أن العصور الوسطى هي أزهى فترات التاريخ القومي لساحل شرق أفريقيا، حيث هاجرت جماعات إسلامية عربية وفارسية أسست إمارات ومدن وحكومات إسلامية على طول ساحل شرق أفريقيا وساهمت تلك الجماعات إسهاماً إيجابياً في نقل الفكر والتراث الإسلامي إلى الساحل الأفريقي ومنه إلى الداخل، وكان العرب هم العنصر الفعال في هذه الدول الإسلامية التي أسسوها على ساحل شرق أفريقيا، وسنتناول بإيجاز الحديث عن تلك الهجرات التي كان لها الفضل في قيام الدول والإمارات العربية الإسلامية ودورها في نشر معالم الحضارة العربية الإسلامية إلى تلك المناطق.

لقد كان استقرار العرب واستيطانهم بشرق أفريقيا نتيجة لعوامل عديدة أبرزها النزاعات الدينية والسياسية التي كانت تحدث بين المسلمين وخاصة في عهد الخلافة الأموية والعباسية، وكان لهذه النزاعات أثرها في دفع أعداد هائلة من العرب وغيرهم من المعارضين إلى الهجرة خارج الجزيرة العربية وكان معظم هجرة هؤلاء الجماعات إلى سواحل شرق أفريقيا حيث كان هناك تبادل تجاري من قبل.

وتعتبر أول الهجرات الجماعية في العصر الإسلامي في أوائل القرن الثامن الميلادي في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان 685 ـ 705م[1]، فقد نهض شعب عُمان تحت زعامة الأخوين سليمان وسعيد أبناء عباد الجلندي من قبيلة الأزد وكانوا من شيوخ العرب الذين حكموا عُمان في عهد الدولة الأموية وقاموا بثورة ضد الخليفة عبد الملك بن مروان، وقد فاز الثائرون في بداية الأمر ثم تغلبت عليهم قوات الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 695م،

(1) جمال زكريا ـ استقرار العرب في شرق أفريقيا ـ مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس، عدد 10 ـ 1967، ص290 ـ 292.

واضطر سليمان وأخوه للفرار مع أنصارهما إلى الساحل الشرقي لأفريقيا تاركين وطنهم وهاموا في جموع من أسرهم وقبائلهم مولين وجههم شطر الساحل الأفريقي[2]، ويحتمل أن يكونا قد نزلا في بات من أرخبيل لامو أو في مدينة حدابو التي أسسوها شمال ممبسه ويعتبر عرب عمان أول من أسسوا منطقة[3] استقرار عربي في ساحل شرق أفريقيا.

وتبع هجرة الجلنديين هجرات عربية أخرى استقرت في أماكن متفرقة على الساحل الشرقي لأفريقيا وهذه الهجرات هي: هجرة الشيعة الزيديين ما بين سنة 750 ـ 760م، فقد فرت هذه الجماعة العربية أثر نشوب نزاع بين الشيعة وكان ذلك في بداية القرن الثامن الميلادي عندما انشقت صفوف الشيعة إلى طائفتين متازعتين، وكان يرأس هذه الطائفة أكبر أحفاد الإمام علي كرم الله وجه وأطلق على هذه الجماعة أهل زيد، وقد تعددت ثورة آل البيت ضد الأمويين الذين كانوا يقابلون النزاعات السياسية بالشدة والعنف، وكان آخر هذه الثورات تلك الثورة التي قتل فيها زيد بن زين العابدين حيث هزم رجال الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك تلك الجماعة سنة 729 ـ 640م[4] وقتل زيد واضطر أتباعه إلى الفرار بعد واقعة الكوفة، حيث استقر جزء منهم في اليمن ومنهم من هاجر إلى الساحل الأفريقي، وعندما استولى العباسيون على الدولة الإسلامية تعرض الأمويين للمحنة التي تعرض لها من كان قبلهم.

وانتشر الأمويون وأتباعهم في ساحل شرق أفريقيا والأندلس ووصل عدد لا بأس به إلى شاطئ شرق أفريقيا عن طريق البحر الأحمر والمحيط الهندي[5].

---

(2) عبد الرحمن زكي ـ الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا ـ المجلة التاريخية المصرية، عدد 21، سنة 1974، ص38 و39.

(3) جمال زكريا ـ مرجع السابق، ص292.

(4) كوثر عبد الرسول ـ دراسات في الهجرات الحديثة إلى أفريقيا ـ حوليات آداب عين شمس القاهرة، سنة 1973 ص256.

(5) توماس ارنالد ـ الدعوة إلى الإسلام ـ ترجمة حسن إبراهيم وآخرون، القاهرة سنة 1970، ص338، عبد الرحمن زكي، مرجع السابق، ص38 ـ جمال زكريا، ص292.

والملاحظ في هذه الهجرات أن الجماعات المهاجرة ورغم الخلافات المذهبية والسياسية التي تعرضت لها في المشرق الإسلامي إلا أنها لم تؤثر عليها في ساحل شرق أفريقيا بل انصهرت تلك الجماعات وكونت تحالفاً اجتماعياً ساهم في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى شرق أفريقيا.

ومن الهجرات المتوالية إلى شرق أفريقيا هجرة الإخوة السبعة من ولاية الإحساء في شرق الجزيرة العربية عام 903 ميلادية من قبيلة الحارث العربية، وكان على رأسهم سبعة إخوة جاؤوا في ثلاث سفن ونزلوا عند شاطئ بنادر وامتد نفوذهم حتى جنوبي منبسه، وقد اصطدمت هذه الهجرات بمن سبقهم من المجموعات الزيدية[6] ففضلوا الانسحاب إلى الداخل حيث اختلطوا بالأهالي وشيدوا مدينتي مقديشو وبراوة[7].

وكان عرب الإحساء من بني حارث أنشط في نشر الإسلام واللغة العربية وأكثر تأثيراً في سكان البلاد، بدليل أن المذهب السني هو السائد الآن في الصومال رغم تعدد الطوائف الشيعية التي هاجرت واستقرت هناك، وقد أصبحت زيلع في الشمال ومقديشو في الجنوب أهم مدن لنشر تيار العروبة والإسلام في المنطقة[8]، وفي المقابل فقد كان الشيعة الزيدية قد تضاعف عددهم خاصة بعد وفود أعداد أخرى من اليمن إلى ساحل بنادر وتوغلوا إلى الداخل قليلاً.

وقد نجح الزيدية في نشر الدعوة الإسلامية على طول الساحل الصومالي حيث ظهرت مدينة بنادر كأول مدينة تأخذ بتعاليم الإسلام في الصومال[9].

(6) مسبوجيات وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية في أفريقيا الشرقية ـ ترجمة يوسف كمال، القاهرة، سنة 1927، ص72، عبد الرحمن زكي، مرجع السابق ص38.

(7) حسن أحمد حمود ـ الثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي القاهرة، سنة 1986، ص398، سميحة إبراهيم حمد، دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان، طبعة أولى مركز جهاد الليبيين 2000، ص39.

(8) المسعودي علي بن حسن، مروج الذهب، ومعادن الجوهر، بيروت سنة 1984 ص98.

(9) حمد عبد الله النقيره ـ انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له ـ دار المريخ، الرياض سنة، 1982، ص65.

وفي سنة 975م وفدت إلى ساحل شرق أفريقيا هجرة فارسية جديدة وهي هجرة حسن بن علي الشيرازي وأبناؤه الستة وعدد كبير من أتباعه[10].

ويذكر أن الشيرازيين الفرس هم من أمراء بني بويه الذين سيطروا على الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني فترة من الزمن واستولوا على أكبر المناصب في الدولة العباسية من جيش وقضاء وسلبوا الخلفاء سلطتهم وأصبحوا أصحاب الأمر والنهي حتى ضاق الناس من تصرفاتهم وتبرموا من أعمالهم مما اضطر أحد الخلفاء العباسيين وهو القائم بالله الاستعانة بقوة السلاجقة حتى تمكنوا من طرد بني بويه من بغداد[11]، ولا يعرف بتحديد الأسباب التي أدت إلى مغادرتهم شيراز عام 975م، وقد وصلوا في سبع سفن متوالية ونزلوا في مقديشو ولكنهم وجدوا أنفسهم في خلاف مذهبي مع من سبقهم من عرب الإحساء فنزلوا في عدة أماكن على الشاطئ الشرقي في منبسه وبمبا وكلوة، وكان الحسن بن علي قد قام بتأسيس مدينة كلوة وخضعت له مدينة مافيا[12] وقد ساهمت هذه الهجرات في قيام عدة مدن إسلامية على الساحل الشرقي لأفريقيا استطاعت أن تحمل مشعل الحضارة الإسلامية[13]، وعلى أثر وصول تلك الجماعات بدأ الأهالي الأفريقيون يدخلون تدريجياً في الإسلام وقد شق العرب طريقهم إلى إقليم سفالة وانتشروا في مدغشقر، وشقوا طريقهم إلى الحبشة وأوغندة وتتجانيف ونياسلاند وأسسوا مدن الساحل الشرقي مثل مالنده ومنبسه وزنجبار وكلوة وسفالة[14] وغيرها من المستوطنات الصغيرة.

وفي بداية القرن الثالث عشر الميلادي قدمت إلى ساحل شرق أفريقيا

---

(10) حمدي سيد سالم ـ الصومال قديماً وحديثاً ـ مقديشو، دار الاستعلامات سنة 1965، ص350.

(11) عبد الرحمن زكي، ص39 ـ سمية إبراهيم محمد، مرجع السابق، ص40.

(12) السر العراقي ـ الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية في أثيوبيا والصومال، ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية الخرطوم، يوليو 1993، ص168.

(13) جمال زكريا، مرجع السابق، ص294.

(14) السر العراقي ـ معالم الحضارة في ساحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى، مجلة دراسات أفريقية، أبريل 1986، ص82 ـ 85.

هجرة عربية قام بها من عمان سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني مع عدد كثير من أتباعه وقصدوا جزيرة باتا وتزوج من ابنة زعيم سواحلي اسمه إسحاق حاكم باتا ومن ثم آلت إليه السلطنة فأسس الأسرة النبهانية التي تولت حكم شطر كبير من الساحل الأفريقي حتى القرن التاسع عشر الميلادي وبذلك نرى أن المدة منذ وصول حسن الشيرازي عام 975م، ووصول القوات البرتغالية عام 1498م ما يقارب خمسمائة سنة[15].

وفي هذه الفترة على طول السواحل أنشئت فيها عدة مدن عربية مستقلة ودويلات من أصل عربي وفارسي وأطلق عليها ساحل الزنج، وكان لدولة كلوة الشيرازية العربية السيطرة على معظم الدويلات الساحلية الأخرى وخلال الفترة ازدهرت تجارة العاج والذهب والرقيق بين السواحل الأفريقية وآسيا، وقد اتسعت المدن التي اقتبست الطابع العربي ووصلت إلى درجة راقية من التقدم[16] وهو ما سجلته المصادر العربية والبرتغالية وغيرها من المصادر الأخرى.

ويصف كوبلان ساحل شرق أفريقيا بقوله: «إننا يجب ألا نندهش لما يذكره هؤلاء من مظاهر الحضارة التي نقلها العرب لشرق أفريقيا لأن العرب كانوا في ذلك الوقت حملة لواء الحضارة، بلا شك إن مدارس بغداد والقاهرة وتونس وفاس كانت حتى القرن الثالث عشر الميلادي تفوق تلك التي في أكسفورد أو أي مدينة أوروبية أخرى[17].

إن تلك الهجرات وما نتج عنها من تراث حضاري قبل الإسلام لم تلبث أن تزايدت بعد ظهور الإسلام في القرن الثامن الميلادي حيث اتخذ العرب المسلمون أبعاداً جديدة وهي مسألة الدعوة إلى الدين الإسلامي، حيث أصبح نشر الإسلام من أهم أسباب استقرار العرب في شرق أفريقيا وتكونت كيانات

(15) عبد الرحمن زكي، ص40، ـ السر العراقي ـ معالم الحضارة في ساحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى، الصفحة نفسها.

(16) عبد الرحمن زكي ـ المسلمون في شرق أفريقيا ـ معهد الدراسات الإسلامية القاهرة سنة 1965، ص119.

(17) عبد الرحمن زكي ـ الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا ـ المجلة التاريخية المصرية، عدد 2، سنة 1974، ص42، سميحة إبراهيم، ص41.

سياسية عربية وخاصة إثر النزاعات الدينية والسياسية التي حدثت في عهد الدولة الأموية والعباسية.

وقد ظلت المدن الإسلامية التي أسسها العرب في العهد الإسلامي تنقل الفكر والثقافة الإسلامية وقد ارتكزت شهرتها على كونها وسيطة بين عواصم العالم الإسلامي وبقية أجزاء أفريقيا المجاورة وقد تطورت المراكز الحضارية بهذه المدن الإسلامية بساحل شرق أفريقيا بفضل جهود العلماء والفقهاء الذين وفدوا إليها من مكة والمدينة المنورة ودمشق والبصرة وبغداد والقاهرة والقيروان وفارس وغيرها.

وكان لهذه الجهود أن ظهرت مدن زاهرة على الساحل الأفريقي مثل مقديشو وبراوة وممبسه ولامو ومالندي وكلوة وجزر زنجبار وبمبا ومافيا[18]، وقد ازدهرت هذه المدن واصطبغت بالصبغة العربية المميزة خلال فترة العصور الوسطى حيث زاد إسهام العرب في هذه البلاد بالأدب والعادات الإسلامية التي كانوا يتميزون بها.

والملاحظ أن العرب المسلمين كانوا قد نقلوا إلى هذا الساحل نظام الشورى وكانوا في بداية أمرهم أقرب إلى نهج الخلفاء الراشدين وأدخلوا نظام الشياخة الذي كان مطبقاً في البلاد العربية منذ القدم والذي يعتمد على عراقة النسب والشجاعة والكرم والمودة وكان هذا النظام أو التقليد قد نقله معه إلى الساحل الاخوين سليمان وسعيد كما اتبع ذلك الأخوة السبعة الذين أسسوا مقديشوا وسيطروا على الساحل في سنة 913م[19].

كما أن نظام الحكم عند الزيدية والشيعية والإخوة السبعة يعتمد على الشورى وكان أساس انتخاب الشيخ هو السن والفضائل، حيث يقول ياقوت الحموي عن مقديشو «إنما يدير أمورهم المتقدمون منهم»[20].

---

(18) السر العراقي، مرجع سابق ص84 و85.

(19) عبد الرحمن زكي ـ الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا القاهرة سنة 1965، ص19. السر العراقي، ص85.

(20) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان، بيروت سنة 1906 ص152.

لقد انتشرت الحضارة الإسلامية بفضل الهجرات العربية التي أتت من عمان وحضر موت وفارس والبصرة والحجاز والكوفة وغيرها، وما يميز إعلام المسلمين من العرب وغير العرب في ساحل شرقي أفريقيا أنهم فكروا بالعقلية العربية وكتبوا تاريخ المنطقة باللغة العربية وعبروا عن حضارة عربية إسلامية في نشاطهم العلمي والأدبي.

ومع دخول الإسلام إلى تلك المناطق اختلطت الدماء والنظم والعادات بين تلك الهجرات وأهالي البلاد ونشأ على إثرها عنصر جديد عرفت بالسواحلي أو الحضارة السواحيلية، جعلوا في خلال فترة العصور الوسطى أمة ذات آداب واحدة وثقافة واحدة ومصير واحد، ويؤكد ذلك جهاد المسلمين الذي امتد على طول الساحل الأفريقي من سوفالا جنوباً حتى مقديشو شمالاً ضد الاستعمار البرتغالي الذي حاول أن يقضي على الحركة الإسلامية في تلك المناطق. وكان جهاد أحمد بن إبراهيم الحراني ضد الصليبين في الحبشة وفي الشمال خير دليل على ذلك.

لقد اصطبغت تلك المدن في الساحل الأفريقي بالصبغة العربية الإسلامية المميزة خلال فترة العصور الوسطى حيث أسهم العرب في تلك البلاد بالآداب والعادات الإسلامية.

والحقيقة أن المدن العربية على ساحل أفريقيا الشرقي قد ازدهرت واستمرت تلك المدن تزدهر من القرن العاشر الميلادي حتى أوائل القرن السادس عشر وهي فترة الازدهار العظيمة التي شهدتها تلك المدن نتيجة لاحتكار تجارة المحيط الهندي والبحر العربي وسيطرة الدولة المملوكية العربية على تجارة المحيط الهندي المتجهة إلى مدن أوروبا بواسطة التجار البنادقة في حوض البحر الأبيض المتوسط، ورغم أهمية تجار الهند وجنوب شرق آسيا إلا أن دور شرق أفريقيا كان كبيراً وذا أهمية، ثم إن الأهمية التجارية لم تكن بالاعتماد على تجارة الرقيق، كما يذكر بعض الكتاب الأوروبين، حيث كان سوق الرقيق العربي محدوداً بعكس سوق الرقيق الأوروبي والأمريكي.

إذن لا بد من معرفة أن دور الاستقرار العربي على ساحل شرق أفريقيا لم يكن دوراً تجارياً محضاً بل إن العرب الذين استقروا في الساحل الأفريقي كانوا قد ساهموا في نشر أنواع جديدة من المحاصيل الزراعية والتجارية في إقليم الساحل والداخل ونقل الحاصلات الزراعية الداخلية إلى الموانئ الساحلية للاتجار فيها، وقد لاحظ عدم اهتمام العرب بامتلاك الأراضي إلا للحاجة الملحة من أجل الحفاظ على مراكز الاستقرار، وتشير المصادر إلى دور العرب في إدخال نباتات العطور مثل البخور والتمر في الصومال وكينيا والأرز والقطن وقصب السكر والمانجو في ساحل تنزانيا وهي محاصيل أدخلَها العرب من آسيا إلى أفريقيا[21]، ولا يمكن أن نتصور قيام أسواق تجارية دون الاعتماد على إنتاج زراعي ثابت المحاصيل للسوق العربي في الساحل الشرقي أو البلاد العربية أو الإسلامية.

وقد أوردت مصادر عديدة أسماء وأنواع المواد التجارية المصدرة والمستوردة من الخليج العربي إلى شرق أفريقيا وإليه، فمن المستوردات إلى شرق أفريقيا، التوابل بأنواعها خاصة القرنفل والكافور والفلفل والعود والمسك والعنبر والأخشاب والتي فيها النارجيل والساج والصندل والخيزران.. ومن الأحجار الكريمة الياقوت والسنباذج، كما كان الرقيق يجلب إلى العراق بشكل خاص لاستصلاح الأراضي والزراعة والخدمة في البيوت والحرف[22].

أما المواد المصدرة إلى ساحل شرقي أفريقيا إضافة إلى بعض المنتجات الزراعية وبعض أشجار العطور، فقد كان عرب أسيا يصدرون الأنسجة بأنواعها والخيول العربية الأصيلة المشهورة في أنحاء العالم والبخور والفواكه والتمور[23] وماء الورد واللؤلؤ وغيرها.

(21) تاريخ أفريقيا العام ـ المجلد الرابع ـ طبعة ثانية اليونسكو، السر العراقي، ص84 ـ 86.

(22) فاروق عمر فوزي ـ الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الإسلامي الوسيط ـ دار الشروق للنشر والتوزيع، طبعة اولى 2000، ص229.

(23) فاروق فوزي، ص230.

لقد استطاع التجار العرب المسلمون أن يؤسسوا مستوطنات على ساحل أفريقيا الشرقي وخاصة في مناطق موزنبيق وزنجبار، وتشير بعض المصادر إلى أن ميناء مقديشو أنشئ في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي من قبل المهاجرين العرب الخليجيين المتواجدين[24]، والجدير بالذكر أن التجار المستوطنين العرب المسلمين في شرق أفريقيا قد لعبوا دور مهماً في نشر العربية والإسلام في تلك البقعة من العالم، وما يجب التنويه به هو صلات عمان القوية مع شرق أفريقيا ودورها في انتشار المذهب الإباضي هناك على طول الساحل الصومالي وبعض الجزر العربية وزنجبار وغيرها من مناطق السودان الشرقي.

وكما قدر للمذهب الإباضي أن ينتشر في الشمال الأفريقي على يد دُعاة تلقوا العلم في البصرة قدر للمذهب الإباضي أن ينتشر في الشرق الأفريقي على يد دعاة من عُمان[25].

إن الموجات العربية التي هاجرت إلى الشاطئ الأفريقي من الجزيرة العربية كان أكثرها قد جاء من عُمان التي كانت في فترة من الفترات تستوعب جنوب الخليج العربي وكانوا عبارة عن عدة قبائل أهمها قبيلة أسد، وكانت منطقة مسقط هي المنفذ البحري الذي يطل عليها أهل عمان على المحيط الخارجي وكانوا قد ساهموا في إنعاش التجارة في المحيط الهندي[26].

ونظراً لموقع عمان الذي تحده الصحراء من الغرب والمحيط من الجنوب الشرقي فقد لوحظ أن معظم الموجات كانت من إقليم عمان حيث اتجه سكانه إلى الملاحة البحرية والتجارة البحرية، ونجحوا بدرجة كبيرة في بناء وصناعة السفن وإتقان الملاحة الشراعية. وكان أحمد بن ماجد ابن رأس الخيمة وأحمد سليمان المهري خير دليل على ذلك إذ نشط هؤلاء في تأليف الكتب ومعرفة

(24) فاروق فوزي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(25) فاروق فوزي، ص231.

(26) شوقي الجمل ـ تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة سنة 1976، ص41.

أسرار البحر[27] وكان العمانيون يبحرون إلى جزيرة زنجبار وغيرها من الجزر التي اشتهرت بأشجار جوز الهند، حيث كانوا يستخدمون أخشابه في صناعة السفن ويسوقون ثماره، وقد ساعد ذلك على اندفاع أهالي عمان إلى البحر وأصبحوا مسيطرين على الملاحة البحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي، وزاد ذلك في هجرة بعض القبائل إلى تلك المناطق، واستمرت تلك الجموع على الشاطئ الشرقي لأفريقيا لغرض ممارسة التجارة، وتكونت على أثر ذلك إمارات عربية جمعت في تركيبتها الاجتماعية بين المظاهر الأفريقية المحلية وبين مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، بما في ذلك اللغة حيث أصبحت اللغة لغة عربية أفريقية عرفت باللغة السواحيلية[28]، حيث عرف العرب المسلمون فنون الملاحة وما تحتاجه من معارف أهمها: معرفة طرق الملاحة البحرية الآمنة ونظام سير الرياح ومواقيتها والظواهر التضاريسية للبحار والجزر، واختراع الآلات التي تساعدهم مثل البوصلة والإبرة المغناطيسية ورسم الخرائط البحرية، وكانت القوارب تصنع من الجلود وجذور الأشجار، ومع زيادة اتصالهم بالبحر تطورت صناعة السفن وكان أحمد بن ماجد السعدي ينتمي إلى أسرة خبيرة بفن الملاحة البحرية، وقد ألف أحمد بن ماجد كتابه الشهير الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، وترك تراثاً عظيماً في فنون البحار والملاحة الفلكية وقد بقي العرب زعماء الملاحة والتجارة في أعماق المحيط الهندي حتى مجيء البرتغاليين إلى ساحل شرق أفريقيا[29].

لقد اشتهرت شرق أفريقيا بنوع من السفن الشراعية عرفت باسم الداو وهي نوع من السفن كانت تقوم برحلات سنوية إلى شرق أفريقيا مزودة بالسلع العربية مثل التمر والسمك المجفف والقهوة والسجاد وكانت تلك السفن تخرج

(27) حسن صالح شهاب ـ فن الملاحة عند العرب ـ مراكز الدراسات والبحوث، صنعاء ـ دار العودة، طبعة أولى، بيروت، سنة 1982، ص62.

(28) شوقي الجمل ـ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(29) محمد عبد الغني سعود ـ قضايا أفريقية ـ مجلة عالم الفكر، ص85.

من شواطئ الجزيرة العربية من يناير وترجع في شهر مارس وبداية كل عام.

إن سكان الجزيرة العربية من الملاحين البحرانيين والعمانيين واليمنيين وغيرهم كانوا قد قاموا بدور هام في تاريخ الساحل الشرقي الأفريقي وكانوا يصدرون البضائع[30] إليه ويستوردون منه العاج وجلود النمور والبقر، والذهب، حيث تشتهر أفريقيا بمناجم الذهب منذ القدم إضافة إلى تجارة العبيد خلال تلك الفترة[31].

وكان من استقرار الجاليات العربية الإسلامية في ساحل أفريقيا أن نشأ الفن الإسلامي كالنحت والعمارة والنقش متأثراً بالطراز العربي والفارسي الإسلامي، وكانوا قد استخدموا الجير والأسمنت وأنشؤوا هندسة معمارية متطورة حيث ظهرت تلك النقوش والزخرفة في مدن كلوة ومقديشو وبراوة وزنجبار وبمبا ومافيا[32] وغيرها من مدن الساحل الأفريقي، وقد ظهر ذلك بوضوح في الأبنية الحجرية وزخارف الأبواب والشبابيك التي صممت على الطراز العربي الإسلامي، وأدخل الشيرازيون فن البناء بالحجارة بالإضافة إلى استعمال الاسمنت والرمل والخشب، ففي مدينة زنجبار يلاحظ الزائر المباني الجميلة المبنية على الطراز العربي والهندي، وقد أبدع الفنانون المسلمون في تجميلها وزخرفتها وزينوا المساجد والقصور، كما زينوا الأبواب والشبابيك بالرسومات الجميلة.

وفي مدينة كلوة اهتم السلطان سليمان حسن الملقب بالعظيم سنة 1158م ـ 1178م بالعمارة وبتشييد القصور الفخمة ومنها قصره الكبير الذي بنى داخله قاعة جميلة تسع ما يزيد على ثلاثمائة زائر، ويشبه هذا القصر في جماله وروعته قصور الأمويين[33] في دمشق وقرطبة غيرها، وفي ما يتعلق بلباس أهل شرق أفريقيا فقد جرت العادة أن يعصب السلطان رأسه بعصابة من حرير تدور على

(30) السر العراقي، ص97.
(31) فاروق، المرجع السابق، ص231.
(32) كوثر عبد الرسول، ص264، السر العراقي، ص96.
(33) السر العراقي، ص78.

رأسه مع بقاء وسط رأسه مكشوفاً، أما الجنود والأحرار فلهم عصائب من القطن ويلبس الفقهاء منهم العمائم، ويلبس عامة شرق أفريقيا الكوافي البيضاء.

وقد وصف ابن بطوطة الذي زار ساحل أفريقيا في القرن الرابع عشر الميلادي زي أهل مقديشو وكسوتهم بأنها فوطة تشد وسطهم بدل السراويل التي لا يعرفونها وأشار أيضاً إلى أن شيخ مقديشو كان يرتدي عباءة من القطيفة المنسوجة بخيط الذهب وعمامة منسوجة بخيط الذهب والفضة[34]، ويشير ابن بطوطة بأن قاضي مقديشو والطلبة وأحد وزراء شيخ مقديشو لهم كسوة هي عبارة عن فوطة من المقطع المصري فرجيه من القدس مبطنة وعمامة مصرية معلمة[35]، وهذا يدل على أن العرب المسلمين قد نقلوا حضارتهم معهم حين هاجروا واستقروا في شرق أفريقيا.

وفي المناسبات والأعياد تحتفل شعوب ساحل شرق أفريقيا بعدد من المناسبات حيث تخرج القبائل في صفوف منظمة تحت إمرة زعمائها وشيوخها وترقص رقصات وطنية تعبر عن الفرح بتلك المناسبة وهي تشبه إلى حد كبير الرقصات في البلاد العربية، كما يحتفلون، بألعاب الفروسية، ويحتلفون بالعيد المولد النبوي الشريف بإقامة حلقات الذكر والمدائح النبوية والأناشيد الدينية، كما كانوا يحتفلون بمناسبات أخرى منها الاحتفال بمراسم الزواج والختان والولادة وليلة القدر وعيد الفطر وعيد الأضحى.

كذلك كانوا يلقون سنوياً بعض الزهور والورود[36] على قبور الأولياء ويذكر ترمنجهام بأن سكان شرق أفريقيا كانوا يقيمون الأذكار من ليلة الاثنين وبعد الجمعة عقب الصلاة، كما شهدت شرق أفريقيا انتشار الطرق الصوفية مثل القادرية والشاذلية[37].

---

(34) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، بيروت سنة 1964، ص253 ـ 260.

(35) ابن بطوطة ـ مصدر سابق، ص258.

(36) ابن بطوطة، مصدر سابق، ص191. TRLMINGHa

M. S. ISLAMINE AST AFRICA.

(37) TRMLNGHAM, 135. OPC.

مجمل القول إن الهجرات العربية الإسلامية إلى ساحل شرق أفريقيا كانت قد نقلت معها الإسلام والحضارة العربية وأدخلت على تلك المناطق مؤثرات عربية إسلامية في ميادين الزراعة والتجارة والطب والعادات والتقاليد وغيرها، وكان معظم تلك الهجرات قد أتت من الساحل العماني نظراً للنشاط البحري الذي كانوا يقومون به وباعتباره معبراً رئيساً لشرق أفريقيا.

لقد كانت تلك الهجرات من عمان وفارس والعراق والحجاز وغيرها، وقد استطاعت تلك الموجات أن تشكل الحضارة الإسلامية دون أن تحدث نزاعات سياسية أو مذهبية وهو ما يدل على أن تلك الهجرات كانت في حاجة كل منها للآخر وهو ما يؤكده وقوفهم جنباً إلى جنب ضد الاستعمار البرتغالي.

إن الدارس لهذه الفترة يلاحظ أن اللغة العربية تشكل مرحلة أساسية في ثقافة الساحل الأفريقي، كما أن الباحث أو الدارس في هذه الفترة سوف يجد في الجانب التجاري والبحري عدداً من المصادر والوثائق التي تساعد في البحث، على سبيل المثال: تاريخ العلاقات الاقتصادية بين عرب عمان ومنطقة الساحل الأفريقي، أو آثار الملاحة البحرية العربية في ازدياد هجرة عرب عمان إلى الساحل الأفريقي.